

جوسناف فلوبيير



المرض والحب



ولد فلوبيير يوم ١٢ ديسمبر من عام ١٨٢١م فى بلدة روان بنورماندى وهو روائى فرنسى، كان أبوه عميد مستشفى ، والجراح الأول هناك ، وكان جده لأمه طبيباً من أطباء الريف ، كما كان بعض أفراد الأسترتين لهم باع طويل بالطب والعلاج ، فنشأ فى هذا الجو يعرف المرض، والدواء. قضى فلوبيير طفولته يلهو فى حديقة المستشفى ، أو يعيش عند جده فيجول معه فى عربته التى يجرها حصان يمر على مرضاه ، وبالرغم من هذا المناخ الطبى ، لم يهو فلوبيير الطب ، وحتى عندما سار أخوه أشيل فى هذا الطريق مستفيداً من خبرة أسرته كان فلوبيير قد اهتم بالكتابة والتحرير ، وكانت هذه هى هوايته منذ البداية .

ارتبط فلوبيير بثلاث شخصيات فى شبابه كانوا أهم من ساعدوه ليخطو أولى خطواته الأدبية ، وهم ألفريد لوبوا تيفين الذى مات فى الـ ٢٧ ، وكان شخصية أدبية ناضجة والشاعر لويس بولييهية ، ثم مكسيم دو كامب الصحفى المعروف فى القرن التاسع عشر .

درس فلوبيير القانون وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، درسه مضطراً ، ليكون حاصلاً على شهادة جامعية ، وكان يرى أن القانون المدنى دراسة لا معنى لها ، ولهذا كان كثيراً ما يترك دروسه وكتبه ويذهب إلى المسارح وأكسبته هذه الجولات فى المسارح والاحتكاك بالناس مادة خصبة يسجلها فى قصصه وأدبه ، ولم يهتم فلوبيير فى تلك المرحلة بالمرأة على الرغم من وسامته وجاذبيته.

يقول مكسيم دوكامب واصفاً فلوبيير لقد كان رائع الجمال ، أبيض البشرة ، عريض الكتفين ، يتدلى شعره الجميل إلى كتفيه ، وكانت عيناه زرقاوين كلون البحر ، تحت رموش سوداء طويلة ، لقد كان كواحد من الزعماء الذين حاربوا جيوش الرومان.

ولكن فلوبيير عرف الحب مبكراً وهو فى سن المراهقة ، فعندما كان فى الخامسة عشرة كانت أسرته تقضى الصيف فى تروفيل ، وتعرفت أسرته على أسرة شلز نجر وكان يجلس جوستاف محدقا بإليسا دون أن يحاول محادثتها ، أو الاقتراب منها ، ثم يجرى إلى منزله واضعاً يديه على عينيه حتى لا يضيع الصورة الجميلة التى رآها منذ لحظات لأليسا شلز نجر ، كانت إليسا فى السادسة والعشرين من عمرها .

وبعد ستة أعوام ذهب جوستاف إلى باريس وهو يدرس القانون وقام بزيارة إلى شلز نجر ، ولكن كان كلما ذهب بقى صامتاً ، ويعقد الحياء

لسانه وكانت شلز تشعر بالحب الذى يملأ قلبه دون أن تخطو خطوة واحدة لتقابلة فى منتصف الطريق.

وعاش فلوبيير وقلبه خال ، وفجأة بدأت تنتابه نوبات عصبية من الصرع ، وعاد فلوبيير للإقامة مع أسرته ، حتى يكون فى رعاية أمه وتحت إشراف أبيه للعلاج ، وكان علاجاً قاسياً شاقاً حتى أن فلوبيير لم يعرف أيهما أيسر المرض نفسه أو الحياة التى يعيشها خائفاً .

وكان أبوه قد جمع ثروة جعلته يشتري منزلاً فى قرية كروازيه على نهر الصين فى جنوب روان حيث عاشت الأسرة كلها وعاش هناك فلوبيير حياة هادئة ، ولكنه لم يهنأ بالهدوء ، وفى يناير عام ١٨٤٦م وبعد عام واحد من الاستقرار فى القرية الجميلة مات أبوه بالسرطان وبعد ثلاثة أشهر ماتت أخته كارولين التى تصغره بثلاثة أعوام ، وهى تلد طفلة جميلة .

وكانت هذه الظروف التى تحيط بفلوبيير ظروفًا صعبة ، وكان يشعر أنه بحاجة إلى قلب يسانده ويعينه على هذه الظروف القاسية .

وفى مرسوم صديقه براديير بباريس وجد فلوبيير ضالته ، قابل هناك لويز كولت وهى امرأة فى الثلاثين من عمرها ، وكان فلوبيير وقتها فى الرابعة والعشرين وكانت لويز امرأة مثقفة ، تنظم الشعر ، وكانت أيضاً قد حصلت على جائزة الأكاديمية للشعر أكثر من مرة .

تبادل جوستاف ولويز الرسائل ، وكانت لويز تغمره بالهدايا التذكارية فمرة ترسل له خصلات من شعرها أو صورة لها .

وفى هذا الوقت كتب فلوبيير " التعليم العاطفى " و " تجربة القديس أنطونى " وكان للويز الجزء الأكبر مما جاء عن الحب فى كتابات فلوبيير فقد كانت صورتها لا تفارق خياله ، وهو يكتب رواثه الأدبية .

ضاق فلوبيير بإقامته فى القرية ، وكان قد مل من كثرة رحلاته إلى باريس ، ففكر فى رحلة يقوم بها مع صديقه مكسيم دى كامب إلى الشرق ووافقت أسرته وشجعتة لعل هذه الرحلة تنفعه صحياً وبدأ رحلته فى أكتوبر عام ١٨٤٩م واستمرت ثلاثة أعوام زار فيها الإسكندرية ، وسار على ضفاف النيل ، وزار سوريا ، وكان يستقر فى كل مكان يذهب إليه حتى يصاب بالملل ، فينتقل إلى مكان آخر.

وطوال هذه الرحلة كانت رسائل أمه تطارده ، فلما أحس بالحنين إلى قريته عاد إلى نورماندى ، ولكنه بقى يحلم بالشرق والنيل الساحر، وكان فلوبيير قد بلغ الثلاثين من عمره ، ولكنه لم يعد الشاب الجميل الذى سرق قلب لويز وضافت لويز ببقاء فلوبيير فى قريته وعدم مجيئه إلى باريس ، فحضرت هى إليه فى قريته ولكنها عادت لباريس خائبة الأمل ومع هذا عاد فلوبيير يكتب لها من جديد بعد فترة .

كانت لويز تقول : إن حب فلوبيير يملأ قلبها وكان فلوبيير يقول : إنه لا يستطيع أن ينكر تأثيرها فيما يكتب ، ولكنه لم يعد يحبها كما كان يفعل من قبل.

وفى هذه الفترة من حياته كتب رائعته الخالدة " مدام بوفارى " وقد كتبها بتوجيه من صديقه مكسيم دى كامب ، وجد فلوبيير فكرة القصة فى حياة الدكتور ديلوناي أحد أصدقاء أبيه الذين درسوا الطب ، وكان ديلوناي طبيباً ناجحاً ، وقد شغله عمله عن أسرته ، وذات يوم عرف أن زوجته تخونه ، وعندما لم يستطع تقويمها انتحر.

وبالرغم من أن جوستاف فلوبيير استخدم مادة القصة الحقيقية، إلا أن تأثير لويز كان واضحاً فى تصويره لمدام ديلوناي .

ذاع صيت فلوبيير فى الأوساط الأدبية بعد مدام ديلوناي وفتحت له باريس أبوابها ، ولكن لم تكن الحياة فى باريس تستهويه ، ولذلك عاد إلى قريته ليكتب مزيداً من روايته ، وبدأ يكتب روايته " مالامبو " ١٨٦٢م التى من أجلها زار شمال إفريقيا ليتجول فى الأطلال ويذوق طعم التاريخ ، وقرأ عشرات الكتب من تاريخ هملكار والد هانيبال العظيم .

ووقتها طبع أيضاً كتابه " التعليم العاطفى " الذى وضع فيه تأثره بأليسا ولويز ويقول النقاد : إن هذا الكتاب تحليل دقيق للمجتمع الباريسى فى الطبقتين الوسطى والأرستقراطية .

كانت فرنسا فى ذلك الوقت قد خرجت مدمرة من الحرب ، وكان الاضطراب الاجتماعى يعصف بكل ركن فيها ، ولكن " فلوبيير " لم يسجل شيئاً من هذا بالرغم من أن ذكريات رحلاته وقصصه الطويلة عندما طبعت ظهرت فى تسع مجلدات كبيرة .

وعاش فلوبيير من أجل قصصه وكتبه ، عرف الحب وتأثر به فى كتاباته ولكن عاد المرض يهاجم فلوبيير من جديد حتى جاء يوم الثامن من مايو عام ١٨٨٠م عندما جاءته خادمته بالطعام فوجدته ملقى إلى جوار مقعده ، وبعد ساعة واحدة لفظ أنفاسه الأخيرة وهو مازال ممسكاً بقلمه يحاول أن يكتب رسالة لحبيبته لويز كوليت .



المراجع



- عظماء من العالم.
- أم كلثوم " الحب والأصدقاء " ، حنفى المحلاوى.
- طه حسين بين الشك واليقين ، كامل محمد عويضة .
- الأيام ، طه حسين .
- عشاق لم ينصفهم التاريخ ، محمد السيد محمد.
- من أعلام الفكر والأدب ، أنور الجندى.
- مشاهير ، جمال الكاشف.
- عباقرة ومجانين ، رجاء النقاش.
- أمير شعراء ألمانيا ، بديع حقى.
- **The World's Greatest Lovers.**
- **Famous Lover.**
- **The Creative World of Beethoven .**
- **Histoire De Mavie .**
- **Chopain .**

